

الْبَحَائِرُ

تَأَلَّفَ

أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَيْفِ الْمَدَائِنِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٢٤ هـ

عُنِيَ بِتَحْقِيقِهِ

إِبْرَاهِيمُ صَاحِبُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التجاري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العنوان : كتاب التعازي
تأليف : أبي الحسن علي بن محمد المدائني
تحقيق : إبراهيم صالح
عدد الصفحات : ١٧٥ صفحة
قياس الصفحة : ١٧ × ٢٤ سم
عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة
التنضيد والإخراج : زياد السروجي
الطباعة : مطبعة الشام

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي
والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن
خطي من:



دَارُ الْبَشَائِرِ
للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - شارع ٢٩ أيار - جادة كرجية حداد
هاتف : ٢٣١٦٦٦٨ - ٢٣١٦٦٦٩
ص. ب ٤٩٢٦ سورية - فاكس ٢٣١٦١٩٦

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق :

الحمد لله الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحدًا ؛
والصلاة والسلام على أسوة البشر ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
وبعد :

المؤلف : هو العلامة ، الحافظ ، الصادق ، أبو الحسن علي بن محمد بن أبي
سيف المدائني ، مولى سمرة بن جندب ، ويقال : سمرة بن حبيب بن عبد
شمس بن عبد مناف ^(١) ، ويقال : عبد الرحمن بن سمرة القرشي ^(٢) .

ومولده على ما رواه محمد بن يحيى ، عن الحسين بن الفهم ، عن
المدائني ، أنه قال : وُلِدْتُ سنة خمسٍ وثلاثين ومئة ^(١) .

وهذا التاريخ هو الذي ذكره ياقوت والصفدي ^(٣) ، وخالفهم الإمام
الذهبي ، إذ جعل تاريخ ولادته سنة ١٣٢ هـ ^(٤) .

وهذا أمرٌ مرَّده إلى التوفيق في العملية الحسابية بين قول مترجميه إنه عاش
ثلاثاً وتسعين سنة ، وإنه توفي سنة أربع وعشرين ومئتين ، أو خمسٍ وعشرين
ومئتين ، فينبغي أن تكون ولادته سنة اثنتين وثلاثين ومئة ! لذا فهو قولٌ
مردودٌ ، كما سيأتي في ذكر تاريخ وفاته .

(١) الفهرست .

(٢) تاريخ بغداد .

(٣) معجم الأدباء والوافي بالوفيات .

(٤) سير أعلام النبلاء .

وتتفق مصادر ترجمته - وكلُّهم عالَّةٌ على الخطيب في تاريخ بغداد ، ينقلُ لاحقهم عن سابقهم - أنه ولد في مدينة البصرة ، وبها نشأ ، ثم انتقل إلى المدائن بعد حين - ومنها اكتسبَ نسبته « المدائني » - ولعلَّه أقام بها فترةً طويلةً قبل انتقاله إلى بغداد ، ليستقرَّ بها حتى وفاته ؛ دون أن يذكر أحدٌ متى انتقل إلى المدائن ، وفي أيَّة سنة ارتحل إلى بغداد .

وفي مدينة البصرة تلقى العلم عن مشايخ عصره ، وبها تأدَّب ، فكان أكبرُ شيخ له : قُرَّة بن خالد السَّدوسي البصريّ ، المتوفى سنة ١٥٤هـ . [سير ٩٥/٧] .

ومن كبار مشايخه الذين أخذ عنهم :

شُعبة بن الحجَّاج البصريّ ، المتوفى سنة ١٦٠هـ . [سير ٢٠٢/٧] .

وجويرية بن أسماء البصريّ ، المتوفى سنة ١٧٣هـ . [سير ٣١٧/٧] .

وعوانة بن الحكم الكوفيّ ، المتوفى سنة ١٤٧هـ . [سير ٢٠١/٧] .

ومُبارك بن فضالة البصريّ ، المتوفى سنة ١٦٥هـ . [سير ٢٨١/٧] .

وابنُ أبي ذئب المدنيّ ، المتوفى سنة ١٥٨هـ . [سير ١٣٩/٧] .

وحماد بن سلمة البصريّ ، المتوفى سنة ١٦٧هـ . [سير ٤٤٤/٧] .

وسلام بن مسكين البصريّ ، المتوفى سنة ١٦٧هـ . [سير ٤١٤/٧] .

ويمكن القول من خلال استقراء وفيات شيوخه البصريّين : إنّه ارتحل عن البصرة بعد وفاة آخر شيخ بصريّ له ، وهو جويرية بن أسماء ، المتوفى سنة ١٧٣هـ ، وكان عمره يومئذٍ ثمانين وثلاثين عاماً ؛ ولكنَّه قولٌ يفتقرُ إلى دليلٍ نقليٍّ لا نملكه .

ويبدو أنّ مجموعةً من العوامل ساعدته على أن يكون « عالماً بأيام الناس ، وأخبار العرب وأنسابهم ، عالماً بالفتوح والمغازي ، ورواية الشعر ، صدوقاً

في ذلك » . وكان - كما قال النديم - متكلماً .

قال النديم : قرأت بخط أبي بكر بن الإخشيد : كان المدائني متكلماً ،
من غلمان معمر بن الأشعث .

وقال حفص القردي : ومعمر ، وأبو شمر ، وأبو الحسن المدائني ، وأبو
بكر الأصم ، وأبو عامر ، وعبد الكريم بن روح ، ستة كانوا غلمان معمر بن
الأشعث .

ومن أهم هذه العوامل : هذا الذكاء الفطري الحاد الذي تمتع به ، ومكته
من استيعاب وتدوين كل ما سمعه من شيوخه ؛ إلى جانب مكانة شيوخه الذين
تتلمذ عليهم ، فهم أعلام رواة الحديث والأخبار في زمانهم .

وكان لحسن اختياره عاصمة العلم والثقافة - بغداد - مكاناً لإقامته حتى
وفاته ، أثراً طيباً في تكوين شخصيته العلمية .

ومما زاد في غنى ثقافته ، واتساع معرفته وعلومه ، اتصّاله بإسحاق بن
إبراهيم الموصلّي المعروف بثقافته الموسوعيّة التي كان يُجاري بها كبار علماء
عصره ، ولكنه نسب إلى الغناء لأنه كان وحيد دهره فيه .

وفي مجلس إسحاق الموصلّي كان يحتك بطوائف من مختلف المشارب
الثقافيّة التي كانت تؤم ذلك المجلس ، وفيهم العالم والأديب والشاعر
والأعرابيّ الفصيح واللّغويّ والنحويّ .

وهذا العمرُ المديد الذي مُتّع به المدائنيّ ، فقد عاش ثلاثاً وتسعين سنةً
ممتعاً بحواسّه وجوارحه وعقله .

يُضاف إلى ذلك قلمه السيّال الذي كان يُدوّن به معارفه ويصنّفها حسب
موضوعاتها ، ضمن قالب التاريخ الإسلاميّ ، حتى قال عنه أبو العباس أحمد
ابن يحيى ثعلب : من أراد أخبار الجاهليّة فعليه بكتب أبي عبّيدة ، ومن أراد
أخبار الإسلام فعليه بكتب المدائنيّ .

ومن تلك العوامل تفرُّغُه لتلقِّي العلم في صِغره ونشأته ، وتفرُّغُه لنشر العلم في كهولته وشيخوخته ؛ فلم يُذكر عنه أنَّه كان منشغلاً لمعيشته بأمرٍ من أمور الدنيا ؛ وقد بُورك له في علمه - كما بُورك له في عمره - إذ ترك مكتبة ضخمة من مؤلفاته ، وتخرَّج على يديه كبارُ علماء عصره .

وانهالت عليه هباتُ المعجبين بعلمه ، كإسحاق الموصلي وغيره ، ممَّا جعله يعيش في ترفٍ ماديٍّ اكتنفه في أواخر أيامه .

حدَّث أحمد بن زهير بن حرب [= ابن أبي خيثمة] قال : كان أبي ويحيى ابن معين ومصعب الزُّبيري ، يجلسون بالعشيات على بابِ مُصعب ؛ قال : فمرَّ عشيةً من العشيَّات رجلٌ على حمارٍ فارِه ، وبزَّةٍ حسنةٍ ، فسلم ، وخصَّ بمسائله يحيى بن معين ، فقال له يحيى : إلى أين يا أبا الحسن ؟ فقال : إلى هذا الكريم ، الذي يملأُ كُفِّي من أعلاه إلى أسفله دنائيرَ ودراهمَ .

فقال : ومَن هو يا أبا الحسن ؟ فقال : أبو محمَّد إسحاق بن إبراهيم الموصلي .

قال : فلما ولَّى قال يحيى بن معين : ثقةٌ ، ثقةٌ ، ثقةٌ . قال : فسألْتُ أبي ، فقلتُ : مَن هذا الرَّجلُ ؟ قال : المدائنيُّ .

وكان أن وضعَ الله له القبول في الأرض ، لما يقوله ويكتبه ؛ فلم يُنقل إلينا أنَّه خاصمَ أحداً ، أو ناقضه في قوله أحدٌ ؛ فقد كان يحيى بن معين يُوصي بكتابةِ كُتب المدائني ؛ قال أحمد بن زهير : قال لي يحيى بن معين غير مرَّة : اكتب عن المدائنيِّ كُتبه .

وكان قوله محلَّ ثقةٍ ، ولو لم يكن له إسنادٌ ؛ قال أبو قلابة : حدَّثتُ أبا عاصم النَّبيل بحديثٍ ، فقال : عمَّن هذا ، فإنه حسنٌ ؟ قلتُ : ليس له إسنادٌ ، ولكن حدَّثنيه أبو الحسن المدائنيُّ . فقال لي : سبحان الله ، أبو الحسن إسنادٌ .

وكانت - كلُّ تلك العوامل السابقة - ضمن قالبٍ من الورع والتدبُّن ،
عصمته من الانزلاق وراء حطام الدنيا ؛ فقد رُوي أنَّه سرَدَ الصَّوم قبل موته
بثلاثين سنة ، فقليل له في مرَّضه : ما تشتهي ؟ قال : أشتهي أن أعيش .
وما أظنَّه قال ذلك إلا حُبًّا في العلم ونشره ؛ فلا مزيد على علوِّ همَّته ،
ومتانة تدبُّئه ، وطيبِ ذكروه .

مؤلفاته :

ترك المدائنيُّ للأجيال مكتبةً ضخمةً من مؤلفاته القيِّمة ، فقد أحصاها
النَّدِيم في الفهرست ، وياقوت في معجم الأديب ، فبلغت أكثر من أربعين ومئة
كتاب ، تلقاها العلماء بالقبول على مدى أجيالٍ مُتعاقبَةٍ ، ونقلوا أخبارها في
كُتُبهم ؛ ومن يقرأ أنساب الأشراف للبلاذريِّ يَر أنَّ ما يقربُ من نصف الكتاب
من رواية المدائنيِّ . ولكن المؤسفَ حقاً عدمُ وصول هذه المكتبةِ إلينا ، فلم
يظهر من مؤلفاته إلا كتابان الأوَّل هو : المُردفات من قُريش ، والثاني هو كتابنا
هذا ، التعازي ، على نقصٍ فيه .

وفاته :

تعدَّدت الأقوال في تحديد سنة وفاته ، وتضاربت وتباعدت ، ما بين ٢١٥
إلى ٢٣٤هـ !! .

فقد نقل النَّدِيم في الفهرست ، عن الحسين بن الفهم قوله : مات سنة
٢١٥ . ثم نقل من خطِّ ابن الكوفي وفاته سنة ٢٢٥هـ .

وقد جزم ابن الجوزي في المنتظم ، والدَّهبي في العبر والإشارة ، بوفاته
سنة ٢٢٤هـ . بينما جزم ياقوت وابن الأثير في الكامل والصَّفدي ، بوفاته سنة
٢٢٥هـ .

وقد ذكر الخطيب ، والسَّمعاني ، والدَّهبي في السِّير وتاريخ الإسلام ،
وابن الأثير في اللُّباب ، أنَّه توفي سنة ٢٢٤ وقيل : ٢٢٥هـ .

وجزم الإمام الطبري بوفاته سنة ٢٢٨ هـ .

وابن تغري بردي سنة ٢٣١ هـ .

وذكر المسعودي في المروج وفاته سنة ٢٢٨ أو ٢٣٤ هـ ! .

والمخرج من هذه الأقوال جميعاً ، هو التوفيق بين سنة ولادته ومدة حياته ؛ فقد نُقل عنه أنه ولد سنة ١٣٥ ولم يخرج على هذه السنة غير الذهبية - كما مرّ - وهو قولٌ مرجوحٌ - وأجمع مترجموه أنه عاش ٩٣ سنة وأنه قارب المئة .

وعليه فإنّ الجمع الحسابي البسيط لهذين الرّقمين ، يصلُ بنا إلى سنة ٢٢٨ هـ كما جزم به الإمام الطبري .

أما قولُ من قال بوفاته سنة ٢٢٤ أو ٢٢٥ فيمكن الجمع بينهما - إذا صحّ ذلك - باعتماد كلمة السّمعاني في الأنساب أنّ وفاته كانت في ذي القعدة سنة ٢٢٤ : بأنّ بعض الناس لم يصلهم خبر وفاته إلّا بعد مرور شهرين على وفاته ، أي في أوائل سنة ٢٢٥ فاعتمده ونُقل عنه .

ومن الغريب حقاً قول ابن الأثير في اللُّباب : إنّه توفي بمكة !! .

والمعروف أنه توفي في دار إسحاق بن إبراهيم الموصلية ببغداد .

وصف النُّسخة :

لهذا الكتاب نسخة فريدة ، احتفظت بها دار الكتب الظاهرية بدمشق ، بعد أن انتقلت إليها من مقرّها الأوّل ، المدرسة الضيّائية ، بسفح قاسيون ؛ فقد ورد في صفحة العنوان : « وقفٌ مُؤبّدٌ ، مقرّه بالضّيائية بقاسيون » .

وكان الشّيخ طاهر الجزائري - رحمه الله - قد تولّى جمع ما تفرّق من المخطوطات في مساجد دمشق ومدارسها ، وأودعها في المدرسة الظاهرية التي عُرفت بعدئذٍ بدار الكتب الظاهرية ؛ وقد حملت نُسختنا الرقم ٣٧٣٨ . ثم

انتقلت بأخرة إلى مكتبة الأسد الوطنية بدمشق .

ولم يصلنا من الكتاب إلا جزءه الأول والثاني ، ويبدو أنّ الكتاب كان يتكوّن في الأصل من ثلاثة أجزاء ، بدليل ما ورد في صفحة العنوان : « فقرأه والجزأين اللذين بعده . . . » [ينظر السّماع رقم ١ في نهاية الكتاب] .

وهي نسخة نفيسة ، تداولها العلماء ، وقرئت في مجالس متعدّدة عبر سنواتٍ طوالٍ في بغداد ودمشق ، وعليها سماعات ومقابلات على نسخة أخرى ؛ ولكن مع كل هذا لم تخلُ من هناتٍ هنا وهناك ، ندّت عنها أبصارُ أولئك العلماء وأسماعهم ، وقد أشرتُ إليها في حواشي التحقيق .

كُتبت بخطّ نسخيٍّ جميلٍ ، والضبط فيها نادرٌ للغاية ، وتقع في ٢٤ ورقة [من ١١٠٥ - ١١٢٨] . وفي نهاية الجزء الثاني صفحتان تضمّنتا أخباراً عن « الموفقيات » للزبير بن بكار ، وتتمّتهما في صفحة عنوان الجزء الثاني ، وقد أثبتّها بكاملها في نهاية هذا الكتاب ، لعدم ورود بعضها في « الموفقيات » المطبوع ، بسبب النقص الحاصل في مخطوطة الأصل .

ولكي يكون العمل أقرب إلى الكمال - إذ الكمال لله وحده - فقد قمّت بترميم الجزء الثالث المفقود بقدر الاستطاعة ، ودون استقصاء ، من مصادر الأدب ، وأهمها كتاب « التعازي » للمبرّد ؛ ولم أنقلُ إلا ما ورد في سنده أنّه عن المدائنيّ ، وأنّه في موضوع التعازي حصراً .
طبعت الكتاب :

كان هذا الكتاب قد طُبِعَ بجزأيه في مطبعة الثّعمان بالنّجف الأشرف ، سنة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م بتحقيق (؟ !) ابتسام مرهون الصّفار وبدري محمّد فهد .

وهي طبعةٌ تُعدُّ في العجائب ، فقد زادا ونقصا ، وأضافا وأسقطا ، كما يحلو لهما ، دون أن يكون للأمانة العلميّة لديهما أدنى قيمة ؛ ولو رحّبتُ أستقصي أخطاءهما - كما يفعل بعض هواة تضخيم المطبوعات - وأقول : في

المطبوع كذا ، وسقط من المطبوع ، وتحرف في المطبوع ، وتصحف في المطبوع ؛ لتضخم حجم الكتاب بلا طائل ، وكان عبئاً ثقيلاً على القارئ ، وتخليداً لتلك الأخطاء ؛ فأضربت عن كل ذلك صفحاً ، واعتبرت أن الكتاب يُنشر لأول مرة ، حسب العرف المتبع في قواعد التحقيق العلمي المعاصر .

رؤاؤه الكتاب :

١- أبو محمّد ، الحسن بن عليّ بن المتوكل بن الميمون ، مولى عبد الصّمد بن عليّ الهاشمي ؛ كان ثقةً ، توفي في المحرم سنة ٢٩١هـ .

[تاريخ بغداد ٣٥٨/٨ والمنتظم ٢٦/١٣ وتاريخ الإسلام [وفيات ٢٩١-٣٠٠] ص ١٢٥] .

٢- أبو طالب ، عبد الله بن محمّد بن عبد الله بن الحسن بن شهاب العُكبري ؛ كان ثقةً ، توفي سنة ٣٤٧هـ بعكبرا .

[تاريخ بغداد ٣٥١/١١ والمنتظم ١١٦/١٤ وتاريخ الإسلام [وفيات ٣٣١-٣٥٠] ص ٣٨٠] .

٣- أبو سهل ، محمود بن عمر بن جعفر بن إسحاق بن محمود بن عليّ بن بيان بن بهيرا العُكبري ، فارسي الأصل ؛ كان عبداً صالحاً ، أدام الصيام ثلاثين سنة ؛ وليس في الحديث بذاك ؛ توفي بعكبرا سنة ٤١٣هـ .

[تاريخ بغداد ١١٥/١٥ والأنساب ٣١/٩ وتاريخ الإسلام [وفيات ٤٠١-٤٢٠] ص ٣٣٤] .

٤- أبو القاسم ، عليّ بن أحمد بن محمّد بن عليّ البُندار ، المعروف بابن البُسري ؛ كان صدوقاً عالماً ثقةً ، وكان متواضعاً حسن الأخلاق ، ذا هيئة ورواء ؛ توفي سنة ٤٧٤هـ .

[تاريخ بغداد ٢٤١/١٣ والأنساب ٢١١/٢ والمنتظم ٢٢١/١٦ وسير أعلام النبلاء ٤٠٢/١٨ وتاريخ الإسلام [وفيات ٤٧١-٤٨٠] ص ١٢٤] .

مصادر ترجمة المدائني

- . المعارف ، لابن قتيبة ٥٣٨ .
- . تاريخ الرسل والملوك ، للطبري ٩/١٢٤ .
- . الفهرست ، للتدويم ١١٣ .
- . مروج الذهب ، للمسعودي ٥/٤٤-٤٥ .
- . تاريخ بغداد ، للخطيب ١٣/٥١٦ .
- . الأنساب ، للسَّمعاني ١١/١٩٦ .
- . المنتظم ، لابن الجوزي ١١/٩٤ .
- . معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ٤/١٨٥٢ .
- . الكامل ، لابن الأثير ٦/٥١٦ .
- . اللُّباب ، لابن الأثير ٣/١٨٢ .
- . سير أعلام النبلاء ، للذهبي ١٠/٤٠٠ .
- . تاريخ الإسلام ، للذهبي ٢٨٨ [وفيات ٢٢١-٢٣٠] .
- . ميزان الاعتدال ، للذهبي ٣/١٥٣ .
- . العبر ، للذهبي ١/٣٩١ .
- . المغني في الضعفاء ، للذهبي ٢/٢٥٩ .
- . الإشارة إلى وفيات الأعيان ، للذهبي ١٠٨ .
- . الوافي بالوفيات ، للصفدي ٢٢/٤١ .
- . البداية والنهاية ، لابن كثير ١٤/٢٦٨ و ٢٩٦ .
- . النجوم الزاهرة ، لابن تغري بردي ٢/٢٥٩ .
- . لسان الميزان ، لابن حجر ٤/٢٥٣ .
- . شذرات الذهب ، لابن العماد ٣/١١١ .

وبعد :

فهذا جهدي المتواضع في هذا الكتاب ، أضعه بين أيدي العلماء
والباحثين ؛ فما كان فيه من حَسَنَةٍ فبتوقيري من الله جَلَّ ذِكْرُهُ ، وما كان فيه من
هفوة ، أو زلَّةٍ قلمٍ ، أو خطأٍ غير مُتَعَمِّدٍ ، فمن قُصُورِ باعي وقلَّةِ بضاعتي ؛
ورحم الله امرءاً أهدى إليَّ عيوبي .
والحمد لله الذي بفضله تتمُّ الصالحات .

دمشق الشام
٣ جمادى الأولى ١٤٢٣ هـ
١٣ تموز ٢٠٠٢ م

وكتب
إبراهيم صالح

* * *

الجزء الأول من كتاب التعازي

تأليف

أبي الحسن عليّ بن محمّد بن أبي سيف المدائني

مما رواه

أبو طالب عبد الله بن محمّد العُكبري

عن

أبي محمّد ، الحسن بن عليّ بن المتوكل ، عنه

رواية

أبي سهل ، محمود بن عمر بن محمود العُكبري

رواية

الشيخ أبي القاسم ، عليّ بن أحمد بن محمّد بن البُشري

البُندار ، عنه

سماع

يُلتكِن بن السّديد طايق التُّركي ، مُتّع به (١)

(١) ضرب بعضهم على هذا السماع والاسم ، وكتب فوق كلمة « سماع » : كان ؛ وفوق عبارة « مُتّع به » : رحمه الله .

